

صوت النون

بين الصامت والصائت

(بحث مقارن)

بنيامين حداد

تعتمد اللغات السامية الأصوات الصوامت في بيان المعنى العام للكلمة، فهي التي تشكل صلبها، ولذلك أطلق اللغويون على الصوامت مصطلح الأصول.

أما اصوات المد الطويلة والقصيرة - وهي أبعاض من الطويلة - فتشكل بوجه عام نظام الزوائد. فهي في حقيقتها مدٌّ للأصوات الصوامت الأصول وإخراجها إلى حيز التحقق النطقي وزيادة قوة أسمعها أو إشباعها أو تنعيمها..

ووظيفتها في البناء اللغوي هي إعطاء أصوات الأصل صيغتها الصرفية، فهي تؤدي هذه الوظيفة من خلال دخولها على عناصر الأصل. وتغيّر أصوات المد الداخلة على الأصل الواحد الصامت يؤدي إلى تغيّر المعنى الصرفي في الكلمة.

وأصوات المد الصائتة ضعيفة معتلة كثيرة الانقلاب والتغير والسقوط في أثناء عملية التصريف.

والنظام الصرفي في اللغات السامية لا يعتمد على أصوات المد الصائتة فقط، بل يعتمد طائفة أخرى من الأصوات الصوامت مسبقة أو مقحمة أو ملحقة. وأصوات الزيادة، الصائتة منها والصامتة تجمعها عبارة (سألتمونيها) مضافاً إليها صوت الشين في بعض الساميات كالسريانية والعربية الجنوبية (السبئية).

والملاحظ أن لصوت النون دوراً خاصاً مميزاً في عملية البناء اللغوي، عن الصوامت الأخرى الداخلة ضمن مجموعة أصوات الزيادة.
وتعامل اللغة مع صوت النون يثير تساؤلاً: ثرى هل صوت النون من الأصوات الصوامت الأصول في صلب بنية اللغة، أم هو صوت مد صانت كالآلف والواو والياء، يطرأ عليه ما يطرأ عليها من زيادة وإنقلاب وتغير وسقوط؟

صوت النون صفة ومخرجاً

النون صوت مجهور كالآلف اللينة والواو والياء والهمزة قال بذلك سيبويه والزمخشري وابن جنى وغيرهم من اللغويين^(١).

وهو من الأصوات المنفتحة كالآلف اللينة والياء، والمنخفضة كالهزمة والياء، والرخوة اللينة كالياء^(٢)، أو التي بين الشدة والرخاوة، كالآلف اللينة والواو والياء^(٣).

والحرف الشديد هو الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه، أي أنك لو اردت مد الصوت في القاف أو الطاء من قولك: الحق أو الشط لكان ذلك ممتنعاً. وعكس ذلك الحروف الرخوة التي يجري فيها الصوت، فهي من الأصوات المتواصلة^(٤)، وهو ما يحدث في نطق حروف العلة من مد متواصل حر، وكذلك في نطق ما يطلق عليه أصوات شبه المد، لشبهها بخصائص اصوات المد عامة، وهي النون والميم واللام والراء^(٥).

لهواء الأصوات الخارج من الحنجرة مجريان هما تجويف الفم وتجويف الأنف، والأصوات التي مجرى هوائها من خلال تجويف الفم يعترضها عائق أي إنها تحتك بجزء أو أكثر من أعضاء النطق داخل الفم، الآ حروف المد الصائتة: الآلف اللينة والواو والياء، ويضاف إليها صوت الهاء^(٦)، فمجراها مفتوح لا يعترضه عارض من أعضاء النطق والآ لفقدت كونها أصوات مد. لذلك ففي حالة إغلاق الفم عند نطقها تنقلب إلى صوت شبيه بهمزة هي

أقرب إلى الغنمة منها إلى الإفصاح الهجائي، ممزوجاً بشيء من الغنة النونية، وهذا بسبب تحول مجرى الصوت من الفم إلى الأنف.

وكذا الحال مع الأصوات التي مجرى هوائها من الأنف كالنون والميم (الأصوات الخيشومية)، فهذان الصوتان يمتدان ويتواصلان دون أن يعترضهما عائق، ولكن من خلال تجويف الأنف وليس الفم كما هو الحال مع حروف العلة الثلاثة والهاء.

وهذان الحرفان الخيشوميان يتحولان أيضاً إلى صوت شبيه بهمزة غنمية غير مفصحة عند سد فتحتي الأنف مع إبقاء اللسان ملصقاً بسقف الفم.

في عرف اللغويين صوت النون خيشومي ومخرجه من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا. وبرأيي أن هذا الوصف لمخرج النون غير دقيق أو ناقص. فنطق النون يتم بالصاق اللسان بسقف الفم كي يُحوّل مجرى الهواء من تجويف الفم إلى تجويف الأنف ليخرج حراً دون عارض، ونطقه هنا قابل للمد والتواصل كحروف العلة تماماً، إلا إذا أردنا قطع إمتداده وتواصل مجراه من خلال الأنف، فنفصل اللسان عن سقف الفم، عندئذ يحدث عندنا نونٌ مقطوع إنفجاري صامت، يختلف تماماً عن الأول. وبهذا يكون لدينا صوتان للنون أحدهما خفي أو خفيف. وسنفصل ذلك في المقبل من كلامنا.

يذهب بعض الباحثين اللغويين المعاصرين إلى تقسيم الأصوات اللغوية وفق نظرية المقطع التي تصنف الأصوات اللغوية إلى صنفين: أصوات تكون قاعدة للمقطع، وهي أصوات ذات قوة اسماع واطنة وهي الصوامت، وتنتهي بها المقاطع المغلقة.

وأصوات تكون قمة للمقطع، وهي الأصوات التي لها قوة اسماع عالية، وهي بوجه عام أصوات المد، وتنتهي بها دائماً المقاطع المفتوحة. ولكن قد تكون قمة المقطع من الصوامت وهي أصوات تملك قوة اسماع قريبة من قوة اسماع أصوات المد، مثل النون واللام والميم والراء. ويطلق على هذا الضرب من الأصوات مصطلح: أشباه أصوات المد، لأنها تشبه أصوات المد في

خصائصها العامة، فالهواء يخرج أثناء أدائها بعائق جزئي لا يمنع حرية مرور الهواء، وبخاصة النون الذي يتحول من مجرى الفم إلى مجرى الأنف. والإحتكاك القليل الذي يصحب حدوث هذه الأصوات يكاد يختفي في حالات كثيرة. ومن أجل ذلك عدها بعض العلماء بأصوات المد الصق منها بالصوامت، إذ تشاركها في قوة الوضوح السمعي^(٧).

وقد ذهب البعض إلى أن هذه الأصوات وأصوات المد قد يرجعان إلى أصل واحد^(٨).

وهناك مؤثرات في تنوع أصوات المد، فمما يؤثر في نوع صوت المد، طريق الهواء، فالهواء في نطق صوت المد يخرج كله من الفم خروجاً حراً، ويرجع هذا إلى بقاء حجاب الحنك ملتصقاً بأعلى الفم فيمنع تسرب الهواء إلى الأنف، غير إنه من الممكن لهذا الحجاب أن يسقط إلى قاعدة اللسان، وحينئذ يمكن للهواء أن ينفذ إلى الأنف لينصرف منه إلى الخارج، وبسبب هذا الخروج تنشأ عندنا طائفة من أصوات المد أصطلح عليها: أصوات المد الأنفية. ومن اللغات التي تستعمل هذا الضرب من الأصوات الفرنسية. وهي تملك عدداً منها، من نحو (in. un. an) وأقرب تسميات يمكن أن نطلقها عليها هي: تنوين الفتح وتنوين الضم وتنوين الكسر، ولكن بنطق مميز تماماً، والذي يجيد الفرنسية يجيد لفظ مثل هذا المد.

وثمة ظاهرة أخرى لها علاقة بأصوات المد الأنفية، هي ظاهرة التأنيف التي تعني تسرب الهواء من الأنف مع استمرار تسربه من الفم. وتختلف بذلك عن الأنفية التي تعني تسرب الهواء كله من الأنف^(٩).

ويذكرنا هذا بطريقة مد الواو لدى العربي الريف في لغته الدارجة في لفظ (راديو)، كيف جعل قسماً من هواء صوت المد يخرج من الأنف في النهاية، فقال: (راديون).

في الأنف من كلامنا نوهنا بالنون الخفية أو الخفيفة.

وفي تقسيمه لأصوات اللغة، يذهب سيبويه إلى أن هناك صوتَ نون خفية أو خفيفة يلحقها بمجموعة الأصوات الهجائية، مخرجها الخياشيم، وهي نون ثانية يختلف صوتها عن صوت الأولى^(١٠).

وتدعى هذه النون بالنون الساكنة، ويقصد بالساكنة أن تُسمع خفية من غير إدغام أو إظهار^(١١).

والنون الخفية الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم كما ذكرنا، فلو أنك امسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلة. وأما النون المتحركة فمن حروف الفم. إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف^(١٢).

والحروف التي تكون النون خفية إذا كانت متبوعة بأحداها هي: القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والزاي والسين والطاء والذال والطاء والهاء والذال والتاء والفاء، سواء في كلمة واحدة نحو: ينقاد، أو في كلمتين متتاليتين نحو: من قال، وحينئذٍ تصير مجرد غنة في الخيشوم لا علاج على الفم في النطق بها^(١٣).

ويمكن أن نلاحظ الفرق بين الصوتين بوضوح في قولنا: من عاد، ومن قال، فبعد أن نفتح الشفتين بالميم في الأولى يتصل طرف اللسان بالثة فوق الثنايا أو بأصول الثنايا ويخرج الهواء بغنة من الأنف بعد أن ينخفض الحنك اللين ليقتل طريق الفم أمامه^(١٤)، أما في الثانية فإن اللسان لا يمس الثة أو أصول الثنايا بعد إنفتاح الشفتين بالميم بل يبقى طرفه مستلقياً في الفم وكأنه يستعد لنطق القاف وينخفض الحنك اللين ليخرج الهواء بغنة من الأنف. وصوت النون في الحالة الثانية (من قال) شبيه بأصوات المد الأنفية التي مر ذكرها، والمستعملة في اللغة الفرنسية.

والصوت في النونين وإن كان واحداً في الأصل، إلا أن خفاء النون في الحالة الثانية، وتحول اللسان عن موضعه في الضغط على أصول الثنايا أو الثة، جعل العلماء يذكرون نونين ويشيرون إلى مخرجين^(١٥).

وللمقارنة بشيء من التفصيل بين طبيعة المد في حروف العلة الثلاثة وابعاضها: الفتحة والضمة والكسرة، وبين طبيعة المد في صوت النون نقول: أن تيار الهواء المندفَع من الجوف، بالأوتار الصوتية في الحنجرة إذا خرج من غير أي عارض أو عائق، أحدث صوتاً جوفياً، هوائياً ممتداً، متواصلاً، ليناً، سهلاً، خفياً، غنائياً، غتمياً غير مفصح أي لا هجائي، شبيهاً بالأصوات الصادرة عن أجواف الأحياء اللاناطقة.

وأصوات المد الثلاثة وأبعاضها القصيرة (الحركات) قريبة جداً من هذا الصوت الغتمي البدائي، لتوفر معظم خصائصه وصفاته فيها.

فأصوات المد في عرف الخليل هوائية، وقد علل هذه التسمية بانه لم يكن لهذه الأصوات حيز تنسب إليه سوى الهواء. وكأنه يشير بهذا إلى واحدة من أهم صفات هذه الأصوات، وهي حرية مرور الهواء في أثناء التحقق الصوتي حرية تامة من غير حدوث احتكاك. والخليل لهذا السبب يسميها أيضاً بحروف الجوف، وذلك لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة وهي في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف^(١٦).

وهي أصوات مد ولين كما يقول سيبويه. ويتفق ذلك مع مصطلح الهوائية، فالهواء يمر في أثناء حدوثها ليناً سهلاً من غير إعاقة أو تضيق كما ذكرنا^(١٧).

وهي صائتة، إذ أن من صفاتها إمكان مد الصوت بها جراء خروج الهواء حراً إلى خارج الفم من غير حبس أو تضيق مما جعل بعض اللغويين يعرفها إنها أصوات غنائية أي يمكن الغناء بها^(١٨).

وهي من الأصوات الخفية بل من أخفى الأصوات كما قال الأسترابادي. والخفاء في الصوت تتحكم به درجة الإحتكاك في الصوت، فكلما قل الإحتكاك زاد الخفاء في الصوت. والألف والواو والياء أخفى الأصوات لاتساع مخرجها، فالإحتكاك في تحقيق نطقها يكاد يكون معدوماً^(١٩).

وأصوات المد هذه لا تحتاج في تحقيق نطقها إلا إلى تحوير بسيط في وضع الشفتين كما ذهب أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) وهو يملئ على صاحبه مميّزاً نطق الحركات التي هي أبعاض حروف العلة أشباعها يعني تحقيق نطق حروف العلة، نقرأ للدؤلي وهو يخاطب صاحبه قائلاً: " إذا فتحت شفتي فأنقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فأجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فأجعل النقطة في أسفله... " (٢٠).

هذا بالنسبة للأصوات الصائتة، أما بالنسبة للأصوات الصامتة فيمكن أن نشبه هذا الصوت الجوفي المتواصل الغتمي اللا مفصح الخام بشرط طويل، وأعضاء النطق في تجويف الفم بعملها الفيزياوي الإعجازي، بمثابة مقص يقطع في هذا الشريط ويصنع منه أصواتاً عديدة هجائية مفصحة، هي سلم موسيقي النطق والكلام عند الإنسان.

إلا أن لهواء الأصوات الخارج من الجوف مجريان كما ذكرنا، هما: تجويف الفم وتجويف الأنف.

وتيار الهواء الخارج من الجوف والمار بالحنجرة، يمكننا تحويل مجراه وجعله يمر من خلال تجويف الأنف بدلاً من الفم بأطباق بسقف الفم إطباقاً تاماً وترك الهواء يخرج من الأنف حراً، وفي هذه الحالة يصدر صوت شبيه بصوت المد الغتمي الصادر من الفم، يجمع كل صفاته وخصائصه، فهو صوت جوفي متواصل لين سهل خفي يمكن مدّه والغناء أو الترتّم به، وهو بدوره غتمي غير مفصح، إلا أنه يمتاز بغنة أو غنائية أنفية، لكنه قريب جداً من النون الخفية الشبيهة بأصوات المد اللينة.

ولو كان في تجويف الأنف أعضاء نطق يمكن السيطرة على حركتها، لأمكننا من تقطيع أصوات أنفية عديدة مختلفة من هذا الشريط الصوتي الغتمي المتواصل الأنفي كما يحدث في الفم.

ولكن التحكم في هذا الصوت داخل تجويف الأنف شبه معدوم كما نعلم، إذ لا يتعدى القدرة على الضغط على عضلاتي الأنف ضغطاً خفيفاً لجعل مجراه

ضيقاً قليلاً، لأخراج صوت نون صامت، وهذا أيضاً لا يتم إلا بضغط طرف اللسان (الذلق) على مقدمة سقف الفم أو اللثة ثم فصله لأعطاء الصفة الانفجارية.

وكحصيلة لهذا نقول إن النون صوت صامت عندما نحاول قطعه أو اعتراض مجراه. ولين شبيهه بأصوات المد في حالة إغلاق الفم وعدم تدخل عضلتي جانبي الأنف وذلق اللسان في إخرجه.

إذن فكلما قل الاحتكاك زاد الخفاء واللين والمد في الصوت سواء كان ذلك داخل تجويف الفم أو الأنف. ومن أجل ذلك أدرجوا في قائمة الأصوات الخفية تلك الصوامت التي تكون درجة الاحتكاك فيها واطئة جداً كالهاء والنون واللام والميم والراء وغيرها (٢١).

دور النون - كحرف زائد - في البناء اللغوي

في اللغات السامية يعتمد الصرف والإشتقاق والإعراب وغيرها من سبل البناء اللغوي على حروف الزيادة المعروفة، ويأتي في مقدمة ذلك أصوات المد أو العلة الثلاثة وأبعاضها الحركات.

وللنون دور كبير في البناء اللغوي، وهو في هذه العملية الخطيرة قريب الشبه من حروف العلة وأبعاضها الحركات. فضلاً عن إن استخدامه كحرف زائد في البنية اللغوية يفوق استخدامات أي من حروف الزيادة بضمنها حروف العلة.

ومواضع دخول النون حرفاً زائداً في الأصول اللغوية هي:

١. نون الإستقبال (المضارعة) صيغة (تفعل) (٢٣).
٢. نون الزيادة في صيغة (انفعل) (٢٣).
٣. نون العرض، نحو: ألا انصرن.
٤. نون التأكيد، نحو: والله لأفعلن، بتشديد النون، وترد خفيفة أيضاً (٢٤).

٥. نون النسوة، نحو: يفعلن.
٦. نون المخبر عن نفسه وعن غيره، نحو: كتبنا.
٧. نون الوقاية، نحو: أكرمني، إنني...
٨. نون النسبة، نحو: جسماني، روحاني، صنعاني^(٢٥).
٩. نون يلحق لتخصيص المعنى لا ينصرف إلى غيره مما هو قريب منه، فقالوا للطفيلي: طيفن، وللمرتعش: رعشن.
١٠. نون التصغير في السريانية نحو: كجدهٓ: كُتِيب، كجدهٓ: بُييت، كجدهٓ: كُليب. ولعل ماتراه في العربية من صيغ نحو زيدون وحمدون وسعدون وخذلون وعبدون من تأثير السريانية.
١١. النون في بنية الضمائر، ضمير المتكلم: أنا، نحن. وضمير المخاطب: أنت، أنت... الخ^(٢٦).
١٢. نون الضمة المشبهة في وزن (فعلان)، نحو: فرحان، عطشان، شبعان، غضبان... الخ. وقد يصاغ من اسم جامد مثل: إنسان.
١٣. النون في نهاية الصفة المشتقة في السريانية، نحو: كجدهٓ: معلم، كجدهٓ: عارف عالم، كجدهٓ: طوباوي. وتنظر هذه الصيغة إلى الصفة المشبهة المختومة بالنون (فعلان).
١٤. نون النسبة في أسماء الجنس (اللامشقة) في السريانية نحو دهسٓ: روعي، كجدهٓ: عفري ترابي، كجدهٓ: سمائي.
١٥. نون الإعراب في الأفعال الخمسة: تفعلان، يفعلان، تفعلون، يفعلون، تفعلين. وتحذف في حالتي النصب والجزم.
١٦. نون الإعراب في المثني: فاعلان فاعلين. وتحذف في الإضافة.
١٧. نون الإعراب في الجمع المذكر السالم: فاعلون فاعلين. وتحذف في الإضافة.
١٨. نون جمع التكسير على وزن (فعلان) بكسر الفاء، نحو: غريان وجرذان ونيران... وعلى وزن (فعلان) بضم الفاء نحو: كُثبان وحُملان ورُكبان...

١٩. نون الإعراب في أسم الإشارة للمثنى: هذان هذين.
٢٠. نون الإعراب في اسم الموصول للمثنى: اللذان اللذين، وفي صيغة الجمع: الذين^(٢٧).
٢١. نون جزم التنكير في صيغ الجمع، نحو: مُكَلِّبٌ: ملوك، حَتِيْبٌ: بنون، حَتِيْبٌ: سنون، للجمع المذكر، حَتِيْبٌ: سقاة، حَتِيْبٌ: بتولات، ذَكَهُ: رعاة للجمع المؤنث.
٢٢. النون في (من) المنقلبة من (ما).
٢٣. النون في (اذن) و (إذا) المنقلبة من (اذ) و (إذا).
٢٤. النون في (لن) المنقلبة من (لا).
٢٥. نون التنوين بحالاته الثلاثة: التنوين المفتوح والتنوين المضموم والتنوين المكسور نحو: رجلٌ رجلاً رجل^(٢٨).
٢٦. تنوين المقابلة في الجمع المؤنث السالم، ويقتصر على التنوين المضموم والتنوين المكسور: فاعلاتٌ فاعلاتٌ، جعلوه مقابلاً للواو والنون والياء والنون في الجمع المذكر السالم: فاعلون فاعلين.
٢٧. تنوين التعويض عن الياء في الأسم الناقص نحو: غواشٍ وجوارٍ...
٢٨. تنوين بعض المصادر التي تجري مجرى المنصوب على المصدرية نحو: حقاً، أصلاً، قطعاً، أهلاً، سهلاً... هذه الصيغ لا تقبل التعريف بأل ليزول عنها التنوين.
٢٩. التنوين اللاحق أسماء الأفعال مثل: صهٍ مهٍ بخ...
٣٠. تنوين الترتم، وهو اللاحق للقوافي المطلقة، أي التي آخرها مد كقول جرير:

أقلي اللومَ عاذلٍ والعتابنِ وقولي أن أصبت لقد أصابنِ

والأصل (العتابا) و (أصابا)، والتنوين بدل من الألف، لزيادة النغمة.

٣١. التنوين العالي اللاحق للقوافي المقيدة زيادة على الوزن كقول روبة بن العجاج:

قالت بنات العم ياسلمى وانن كان فقيراً معدماً قالت واتن

وهما نونان زيدتا في الوقف، فالنون صوت يحسن الوقف عليه، ولذلك فقد التزم في الكثير من الأصول العربية وفي اللهجات الدارجة.

٣٢. نون يلحق الفعل الأجوف المضارع، لا للتوكيد وإنما هو صوت لين سهل يزيّن آخر الكلمة، فيقولون: أروحن، أشوفن، أموتن...

٣٣. كما يلحقون هذه النون بالفعل المضارع الثنائي المضعف نحو: أمرن، أمذن...

٣٤. نون تلحق بالأفعال الثلاثية للضرورة إلى الصيغة الرباعية نحو: وهدن بمعنى ضلل، وغرر، ورهدن ويفيد معنى الأناة والتريث، وترين من التراب، وسخن من السخام، وفرزن من الأصل فرز أي ميّر.. ويحدث هذا في السريانية الدارجة أيضاً نحو: محكب: من ككب بمعنى يتصف بصفات الكلب، و محذب: من كذب بمعنى يصاب بالجرب، و محكبي: من ككب بمعنى يتوسخ يتلوث، و محكي: من كح بمعنى أصابته الحمى، و محذب: من كذب بمعنى صارت له جرثومة أي أصل الشجرة، محذب: من كذب بمعنى أصابه الجنون، و محذب: من كذب بمعنى تمرض...

٣٥. نون تلحق فعل الوجود في حالتي النفي والإيجاب في بعض اللهجات السريانية، نحو: كبي، كبي.

٣٦. نون يلحقونها ببعض المصادر، مثل: الولدنة والحرنة...

٣٧. نون يلحقونها ببعض الأدوات مثل: لمن من لماً، وبعدين من بعد، وهمين وهمتين من هم الدخيلة بمعنى أيضاً.

٣٨. نون الجمع في السريانية الدارجة نحو: محذب، محذب، محذب، محذب، دهذب، دهذب... ويعني على التوالي: جبال، أسواق، كروم، أماكن،

جدران. وعلى غرار ذلك نجد في السريانية الفصحى، مثل: يَهْمَكْتِي، يَهْمَكْتِي، يَهْمَكْتِي، وسَدَّتِي.. وتعني على التوالي: بخور، خمور، أدوية، آخرون. وقد مرت بنا صيغٌ لجمع التكسير على وزن (فعلان) في العربية. ٣٩. يأتي النون عوضاً عن الحرف المضعف في حالة فك الإدغام (٢٩).

الإعلال في الأصل النوني في السريانية

والنون كحرف سهل لين شبيه بحروف المد، يجري عليه الإعلال والإبدال والإسقاط.

إعلال النون في الأصل النوني السرياني:

الأصل النوني هو الذي فاؤه نون، مثل هَفَد: نَفَقَ، نَبَب: نَصَبَ، هَفَد: نَفَخَ، هَفَب: نَفَضَ، هَفَد: نَقَلَ، هَفَد: نَبَعَ... ويجري الإعلال في النوني السرياني كما لو كان (مثالاً)، والنون حرفاً من حروف العلة. وقاعدة الإعلال فيه - مجرداً كان أم مزيداً - هي أن تحذف نونه كلما جاءت ساكنة في وسط الكلمة. ١. في تصريف النوني المجرد:

نقول في تصريف النوني المضارع المعلوم (المستقبل):

يَهَب: سَأَنْفَضُ. يَهَب: سَتَنْفَضُ (أنت). يَهَب: سَيَنْفَضُ... الخ، وفي تصريف الأمر المعلوم نقول: هَب: أَنْفَضْ. هَب: أَنْفَضُوا. هَب: أَنْفَضِي. هَب: أَنْفَضِي... الخ.

ونقول في المصدر الميمي هَبَب: نَفَضْ.

٢. في تصريف النوني المزيد على وزن (أفعل).

نقول في تصريف الماضي المعلوم:

هَبَب: أَنْفَضْتُ. هَبَب: أَنْفَضْتِ، هَبَب: أَنْفَضْتِ... الخ.

وفي المفعول المستقبل المضاف نقول:

مِثْلُ كَيْفٍ: مِثْلُ كَيْفٍ

مِثْلُ كَيْفٍ: مِثْلُ كَيْفٍ

وفي المفعول المستقبل نقول:

مِثْلُ كَيْفٍ:

وفي المصدر الميمي نقول: مِثْلُ كَيْفٍ:

وفي المصدر الإسمي نقول: مِثْلُ كَيْفٍ:

وتجري قاعدة النون في جميع الأسماء المصدرية أو الوصفية المشتقة من الأصول النونية، نحو: مِثْلُ كَيْفٍ: مثقب بدلاً من مِثْلُ كَيْفٍ. و مِثْلُ كَيْفٍ: محرس، محل الحراسة والنظر والمراقبة بدلاً من مِثْلُ كَيْفٍ. و مِثْلُ كَيْفٍ: مهيب، منشب بدلاً من مِثْلُ كَيْفٍ. و مِثْلُ كَيْفٍ: مقطرة بدلاً من مِثْلُ كَيْفٍ^(٣٠). هذا وإن الفعل النوني الناقص الذي تكون فاؤه نوناً ولامه حرف علة مثل: كَيْفٍ: نكى، أصر، و كَيْفٍ: خاصم، هتت: نسي. تجري عليه قواعد الفعل النوني والفعل الناقص^(٣١).

النوني (الناقص) في العبرية

والفعل الذي تكون فاؤه (نوناً) أو (لاماً) يدعى (ناقصاً) في العبرية، لأن فاءه تسقط في زمن الإستقبال عند دخول حروف المضارعة عليه، وتدغم في عينه وتشدّد العين دلالة على هذا الإدغام، نحو:
 لاִפֵּל (سقط): פִּלָּל (يسقط). נָתַן (أعطن): נָתַן (يعطي). נָסַף (سافر): פִּסַּף (يسافر).

وكذلك بالنسبة للفعل المركب، ويقابله في العربية اللفيف مفروقاً ومقروناً.

نحو: נָשַׁח (حمل): נָשַׁח (يحمل).

وإذا كان الناقص مفتوح العين في المضارع נָשַׁח من الأصل (נָשַׁח : نجع،

وصل) تحذف النون من الفعل في الأمر، نحو נָשַׁח : صل^(٣٢).

النوني في الأكديّة

وكما هو الحال في السريانية والعبرية، تتعرض فاء النوني في الأكديّة

للإدغام، نحو:

(اش - شي - شو) فعل مضارع بمعنى: يحمل، يرفع، يأخذ، من المصدر

(ناشو): حمل، رفع. و (شو) ضمير الشخص الثالث المفرد (هو). ملحمة

كلكاش لوح ١ عمود ٥ سطر ٢٩، ٤٣. ولوح ٢ عمود ٤ سطر ١٠.

(ات - تا - دي - شو): يرمي، من المصدر (نادو): رمى، زائداً الضمير

(هو). ملحمة كلكاش لوح ١ عمود ٥ سطر ٣٧ وعمود ٦ سطر ١٣. (أي -

زيز - زا) يقف، بنهض، يتقوى، يتعزز، من المصدر (ناززو): قام، وقف،

نهض، تعزز، تقوى. ملحمة كلكاش لوح ١ عمود ٤ سطر ٢٧ ولوح ٥ عمود

٣ سطر ٤٢.

(ما - صصار): يراقب، يحمي، يحرس، ينظر، من المصدر (ناصارو):

نظر، حرس.. ملحمة كلكاش لوح ٢ عمود ٣ سطر ٣٤.

(ايد - دي - اين): يعطي، يمنح. من المصدر (نادانو) أعطى، منح. ملحمة

كلكاش لوح ٢ عمود ٦ سطر ١٤.

وحالة إدغام النون هذه تتفق وحالة الإعلال في الأصل (المثال) نحو: (أبت - تا - شابو): صيغة المضارع بمعنى يجلس يثب، من المصدر (وشابو) جلس وثب. ملحمة كلكماش لوح ١ عمود ٦ سطر ٣٠.

الإعلال في أشباه أصوات المد في العربية

والإبدال بين أصوات المد الطويلة وبعض الصوامت مما أصطلح عليه بأشباه أصوات المد كالتون والميم واللام والراء، له ما يسوغه من الناحية الصوتية. ومن ذلك يقال في إعلال النون:

نخر ووخز، نكت ووكت، نشر ووشر، نصب ووصب، نكز ووكز...

وفي إعلال الميم يقال:

ملق وولق، متن ووتن، مكد ووكد، مكد وولد، مذع ووذع، أمشاج

وأوشاج، قهم وقهي...

وفي إعلال اللام يقال:

خلاء وخواء، لكز ووكز، خثلة وخثوة...

وفي إعلال الراء يقال:

درس وداس، قفر الأثر وقفاه، مرث وورث...

ولعل مما يدخل في هذا الإبدال ما يحدث بين الهاء والياء نحو: هاهأه ويأياة، سفيه وسفي، نهينا أن نُجهز على الجرحى وان نجيز... وذلك للعلاقة القوية بين صوت الهاء وأصوات المد الطويلة، فهي معتبرة من ضمن أصوات الإعتلال في العبرية (٣٣).

والمقارنة اللغوية تنفعنا أيضاً في معرفة إعتلالات تاريخية وقعت في الكلمات في حقبة متقدمة، نحو: الفعل (نفر) العربي الذي نجده في الحبشية بصيغة (وفر). والفعل السرياني (ܢܦܪ: ن ص ف) الذي يقابل (وصف) في

العربية. والفعل (عَبَدَ: ن ط ف) في السريانية وبمعناه (وظف) في العربية. وكذلك الفعل (بَيْدَ) العربي الذي يقابل (تحل: ي ح ل) في السريانية، ومثل ذلك كثير^(٣٤).

مما تقدم يتضح لنا أن الأصوات الصامتة الساكنة هي الأصوات الأصول في اللغات السامية، يكمن فيها المعنى الأساس أو العام للكلمة. أما الأصوات الصائتة (أصوات المد) فهي من الزوائد وظيفتها مد الأصوات الصامتة الساكنة وتحقيق نطقها وتحديد أو تخصيص معنى اللفظة وتوجيهه وجهة معينة^(٣٥).

وثانوية دور أصوات المد في الدلالة المعنوية يمكن ملاحظتها في الرسم الإملائي القديم للغات السامية أيضاً، فقد سرت أهمية الأصوات الصامتة الساكنة في الدلالة والنطق إلى الرسم الإملائي أيضاً. فأهم ما يعني الرسم السامي بإظهاره هو الأصوات الساكنة، أما الأصوات اللينة فيغفل بعضها إغفالاً تاماً ويشير إلى بعضها بالشكل، ويرسم بعضها رسماً مضطرباً غير دقيق. وهذا في الرسم الإملائي الحديث، أما الأشكال القديمة للرسم السامي فكانت تغفل جميع أصوات اللين إغفالاً تاماً سواء في ذلك الطويل منها والقصير^(٣٦).

كما إتضح لنا مدى قرب صوت النون من اصوات المد الصائتة، فلكونه من الأصوات الخفيفة اللينة الجوفية، أعتبر من أشباه أصوات المد. هذا فضلاً عن كون صوت النون من أصوات الزيادة في اللغات السامية التي تتميز بعدم ثبوتها وإستقرارها، وخضوعها لعمليات الإعلال والإبدال والسقوط والتغيير، دون أن يطرأ تأثير كبير على المعنى العام للكلمة.

وصوت النون هو الوحيد بين الأصوات الصوامت الذي يمكن إغفاله في النطق والرسم دون أن يطرأ تأثير على الدلالة، وذلك في ظاهرة تنوين الإسم في العربية بحالاته الثلاث^(٣٧) وفي الافعال الخمسة في حالتها النصب والجزم. وأود هنا أن أذكر ظاهرة لغوية طريفة، ففي بعض قرى نينوى الناطقة بالسريانية الدارجة، يرددون صوت النون قبل نطقهم اللفظة التي يعنونها وبخاصة إذا لم تُسَعِفهم الذاكرة بحضورها في الوقت المطلوب، أما إذا غابت

اللفظة عن بالهم تماماً فقد يكتفون بصوت النون الذي إشتقوا منه إسماً بصيغة (نن) - بتشديد النون - يشيرون به إلى جميع المسميات إطلاقاً. وفعلاً بصيغة (ننن) ويشيرون به إلى جميع الأفعال إطلاقاً. ومن صوت النون إشتقوا في السريانية الفصحى الفعل التفسيري فعب بمعنى: عني.

وترد في العربية (أن) مُفسرةً بمعنى: أي، نحو: فأوحينا إليه أن اصنع الفلك^(٣٨) وفي حالة غموض أمر ما يقولون في الدارجة: " المسألة فيها إن " و " خلى بيها إن " و إله بيها إن " ^(٣٩).

ولقد لاحظتُ في الأصل النوني بعد حذف فائه أن الباقي منه كثنائي لا يبتعد كثيراً عن معناه الأصلي كثنائي قبل إسقاط نونه، فالدلالة المعنوية بينهما تكاد تكون متفقة، وما لا يتحقق فيه الإتفاق بالدلالة بوضوح يتحقق ذلك بالرجوع إلى لغة أو أكثر من اللغات السامية الشقيقة. هذا فضلاً عن أن الباقي من الأصل الثلاثي بعد حذف نونه أكثر مطابقة لحكاية الصوت، أساس اللغة في نشأتها.

وإتفاق بالمعنى قد يتضح أكثر كلما زيد في الباقي الثنائي مدّ طويل تصديراً أو إقحاماً أو إكساعاً للصيرورة إلى الإصول المعتلة (المثال والأجوف والناقص) ^(٤٠)، وكذلك بتكرار الثنائي للصيرورة إلى الرباعي. وتطبيقاً لما تقدم ذكره سنعمد إلى إسقاط فاء الأصل النوني، ثم نعقد مقارنة في الدلالة بينه وبين الأصل الثنائي الذي يماثله بعد إسقاط نونه. وكذلك بينه وبين ما يصير إليه هذا الأصل الثنائي بعد زيادة حرف مد إليه تنويجاً أو حشواً أو تذليلاً حينما تيسر ذلك. وسنعمد في مقارنة بدأ الأصول النونية في العربية، مقتصرين على ذكر النظائر المتطابقة نطقاً ودلالة في السريانية وغيرها من اللغات السامية الشقيقة دون الخوض في التفاصيل ^(٤١).

للبحث صلة